

الوافي في الوفيات

ولم تُضَيِّقْ بذاك صَدْرِي ... لأنَّ لي أسوةُ الصحابة .

وقد قيل في ابن سناء الملك ايضاً : .

أبغضتَ كلَّـ أبي بكرٍ وما ... تَرَبَّيتَ إلَّا يداك بذا حتى ابن أيُّوب .

ولما نظم ابن سناء الملك قصيدتهُ التي امتدح بها تورانشاه أخا صلاح الدين وأولَّها : .

تَقَنَّنْتُ لَكِنَّـ بِالْحَبِيبِ المَعْمَمِ ... وفارقتُ لَكِنَّـ كُلَّـ عَيْشٍ مُذَمَّمِ .

تعمَّ ب عليه شعراء الديار المصرية وهجَّـنوا هذا الافتتاح وكتب إليه الوجيه ابن الذرَّوي

: .

قل للسعيد مقالَ من هو مُعْجَبٌ ... منه بكلِّـ بديعةٍ ما أَعْجبا .

لقصيدك الفضلُ المُبِينُ وإنَّمَا ... شعراؤنا جهِلُوا به المُسْتَغْرَبَا .

عابوا التَقَنُّعَـ بِالْحَبِيبِ ولو رأى الطَّـ ... ائِيَّ ما قد حُكِّتَهُ لتعمَّـبَا .

فقال ابن المنجَّم : .

ذَرَّوينا قَتَلْتَهُ قِلَّةُ عَقْلِهِ ... في نَصْرِـ بَيْتِ شائعٍ عن ضِفْدَعِـ .

شيءٌ من الشعر الركيك رَوَيْتَهُ ... لمخنثَيْنِ معصَّـبٍ ومقنَّـعِـ .

قلت : لقد تحامل عليه من هجَّـنهُ وتَعَنَّنَّتْـ من قَبِّـحَهُ ولكن هذا من الحسد الذي جُبِّلَتْ

عليه الطَّبِيعُ الرديئةُ لأنه قال : " تقنَّـعْتُ " من القناعة ورَشَّـحَهُ بالمعمَّمِ فصار من

التَقَنُّعِـ بالقِنَاعِ وأشار بقوله " الحبيب المعمم " إلى قول أبي الطيّـب : .

ولو أنَّ ما بِي من حَبِيبٍ مقنَّـعِـ ... عَذَرْتُ وَلَكِنَّـ من حبيبٍ معممٍ .

وكذلك تَعَنَّنَّتْـ شرف الدين علي بن جُبَّارة على ابن سيناء الملك وعلاق على شعره مجلدةٌ

سمَّاها " نظم الدرِّ في نقد الشعر " وواخذه في أشياء ما أَطْنَهُ كان له ذوقٌ يَفْهَمُ بها

مقاصدَ ابن سيناء الملك . ومن ترسلَّاهـ ما كتب به إلى القاضي الفاضل يشكو من رمدٍ أصابه

كتب ا لمولانا على نفسه الرحمةَ وعلى عدوَّه الذِّقْمَةَ وآتاه الخطاب والحكمة وأسبغ عليه

كما أسبغ به النعمة وعضَّدَ بآزائه الدولةَ وببقائه الملاَّةَ واعزَّـ بسلطانه الأُمةَ وأدام

ا أيامه حتى تطيرَ من آفاقه النعائم وحتى تخلَّـعَ أطواقُها الحمائمُ وحتى تنزِلَـ من

منازلها النجومُ العواتمُ وحتى تسقُطَـ من كَفِّ الثريَّا الخواتم .

وحتى يؤوبَ القارطان كلاهما ... ويُنْشَرَّـ في القَتَلَى كُليبُ لوائِلِـ .

خدمَتَهُ بعد أن حَمَلَّتْ عينه في قبضة الرمد وبعد أن قسا قلبُه وطال عليه الأمد وبعد

أن تعاقبت فيها الدَمَعَتان دَمْعَةُ الألم ودَمْعَةُ الكَمَدِ وبعد أن أُحْـجَّتْ عليها نارُ ا

المؤمّدة وأصبحت منها في عمدٍ ممدّدةً وبعد أن سخّر الله عليها الآلام سبع ليالٍ
وثمانية أيّامٍ وكأنّها والله سبع سنين وثمانية أعوام وبعد أن فصّدت في أسبوع واحد
دفعتين وشرب المسهل ثلاث مرّات وكاد لأجل السجّة يكذب ويقول مرّتين وبعد أن ملأ
الدار صُراخاً وأقلق الجار صياحاً وبعد أن كلمه العمى شفاها وخاطبه صُراحاً وبعد أم
مرّتين بعينه العبرات والعبر وبعد أن قذفت من القذّى برمادٍ ورمّت من الدموع بشرّار
وبعد أن استشفى بتراب الرّبع الذي قال فيه الشاعر :

ورّبع الذي أهواه يروي شرابه ال ... عطاش ويشفى تُربّه الأعيُن الرمدا .
فضحك رَمَدَه من هذا الشاعر الكاذب وسخر منه بالحية والشارب وأما الشاعر فلو أبصره
ما أبصره بصر المملوك لما قال :

يا شعرُ في بَمَري ولا في خَدّه ... هذا السوادُ فِداء أحمر ودّه .
ولكان يسأل الله أن يَقيّ سواد عينه بأن يُنبِت في خدّ معشوقه شوك القنا فضلاً عن شوك
الورد وأن يُطلع كل نبات في كتاب أبي حنيفة على ذلك الخدّ ولو علم جميل بن مَعمرٍ
مِقادِرَ أذى القذّى لما دعا على محبوبته في قوله :

رمى الله في عَينَي بُثينة بالقذّى ... وفي الغُرّ من أنيابها بالقوادح .
وأما القائل :

ترايهم وحقّ أبي تُرابٍ ... أعزّ عليّ من عَيني اليمين .
فخصمه على كذبه من أقسم به في هذا الشعر ولكنّهم جهلوا ما لم يحيطوا بعلمه وتكلّم
كل شاعرٍ منهم وطرفه مخلصٌ من يد سُقمه ووالله لقد ناحت المملوك وهو في شدّة المَرَضِ
وساوسه وخاطبته هواجسه وقالت له : لعلّك عوقبت بما كنت تدّعيه وتكذب فيه على عينك
في شعرك ولا سيّما في قولك :